

زيادة الإيمان ونقصانه

أهداف الدرس

1. أن أتعرف المذاهب الكلامية في زيادة الإيمان ونقصانه؛
2. أن أتبين وسطية المذهب الأشعري في زيادة الإيمان ونقصانه؛
3. أن أقوي إيماني بالطاعات وتجنب المعاصي.

تمهيد

اختلفت المذاهب الكلامية في حقيقة الإيمان ، ونتج عن ذلك اختلافهم في زيادته ونقصانه؛ حيث تمسك كل مذهب بما رآه دليلاً له .

فما حقيقة الإيمان؟ وما موقف المذاهب الكلامية من زيادته ونقصانه؟

نص الانطلاق

قال إمام الحرمين رحمه الله: «اعلموا أن غرضنا في هذا الفصل يستدعي تقديم ذكر حقيقة الإيمان ، وهذا مما اختلفت فيه مذاهب الإسلاميين ، فذهبت الخوارج إلى أن الإيمان هو الطاعة ، ومال إلى ذلك كثير من المعتزلة ، واختلفت مذاهبهم في تسمية النوافل إيماناً ، وصار أصحاب الحديث إلى أن الإيمان معرفة بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، وذهب بعض القدماء إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار بها ، وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فحسب... والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى ، فالؤمن بالله من صدقه ، ثم التصديق على التحقيق كلام النفس ، ولكن لا يثبت إلا مع العلم ، فإننا أوضحنا أن كلام النفس يثبت على حسب الاعتقاد ، والدليل على أن الإيمان هو التصديق صريح اللغة وأصل العربية ، وهذا لا ينكر فيحتاج إلى إثباته ، وفي التنزيل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: 17] معناه: وما أنت بمصدق لنا». [الإرشاد، ص 306].

وقال العلامة سعد الدين التفتازاني رحمه الله: «إن الإيمان يزيد ينقص ، ومنعه الجمهور لما أنه اسم للتصديق البالغ حد اليقين وهو لا يتفاوت ، وإنما يتفاوت إذا جعل اسماً للطاعة ، ولهذا قيل: الخلاف مبني على الخلاف في تفسير الإيمان ، لكنه إنما يصح إذا لم يُجعل ترك العمل خروجاً عن الإيمان ، وحينئذ يكون التفاوت في كمال الإيمان لا أصله ، وأجيب بعد تسليم أن التصديق هو اليقين ، وأن اليقين هو المعتبر في حق الكل بمنع قبوله التفاوت كما في اليقين الضروري والنظري ، بعد زوال التردد والخفاء ، تمسك القائلون بالتفاوت بأن إيمان آحاد الأمة لا يساوي إيمان الأنبياء قطعاً ، وبالنصوص الصريحة في ذلك ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَالَتْ تِلْكَ مِنْكُمْ إِيْمَانًا﴾ [الأنفال، 2] ﴿لِيَزِدَّ اللَّهُ لَكُمْ إِيمَانَكُمْ﴾ [الفتح، 4] ﴿وَيَزِدَّ اللَّهُ لَكُمْ إِيمَانًا﴾ [شرح المقاصد، 446/3] .

الفهم

الشرح:

- **الكرامية:** فرقة كلامية ترى أن الإيمان هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب.
- **آحاد الأمة:** أفراد الأمة.
- **استخلاص المضامين:** أستخلص حقيقة الإيمان والمذاهب الكلامية في زيادة الإيمان ونقصانه.

التحليل

اشتمل النصان على مسألتين:

المسألة الأولى: حقيقة الإيمان

اختلفت مذاهب المتكلمين في حقيقة الإيمان ، وبيان ذلك في الآتي:

1. **ذهب الخوارج وأكثر المعتزلة إلى أن الإيمان هو:** الطاعة؛ أي التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح؛ بمعنى أن الإقرار باللسان والعمل بالجوارح شطران من ماهية الإيمان ، فالطاعة اسم جامع للتصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح .

2. ذهب أصحاب الحديث إلى أن الإيمان معرفة بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان؛

أي أن الإقرار باللسان والعمل بالجوارح شرطان في كمال الإيمان أو صحته، وليس شرطين من ماهيته.

3. ذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو: الإقرار باللسان فقط، ومضمر الكفر إذا أظهر الإيمان

مؤمن حقا عندهم كما قال إمام الحرمين.

4. ذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية إلى أن الإيمان هو تصديق النبي ﷺ في كل ما علم

مجيبه به من الدين بالضرورة، إجمالاً فيما علم إجمالاً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً.

المسألة الثانية: زيادة الإيمان ونقصانه

اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه على ثلاثة مذاهب:

1. ذهب أبو حنيفة وكثير من المتكلمين إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه اسم

للتصديق، وهو لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان «فمتى قبل الزيادة والنقصان كان شكا وكفرا» [شرح ابن ناجي على الرسالة 53/1] وإلى هذا القول مال بعض الأشاعرة ومنهم إمام الحرمين فقال: «فإن قيل: فما قولكم في زيادة الإيمان ونقصانه؟ قلنا إذا حملنا الإيمان على التصديق فلا يفضل تصديق تصديقا كما لا يفضل علم علما، ومن حمله على الطاعة سرا وعلنا ومال إليه القلانسي فلا يبعد على ذلك إطلاق القول بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهذا مما لا يؤثره» [الإرشاد، ص 308].

2. ذهب الإمام مالك في قول له إلى أن الإيمان يزيد ولا ينقص، ومستنده في ذلك ظاهر

القرآن؛ حيث أخبر بالزيادة ولم يخبر بالنقصان، مثل قوله تعالى: ﴿بِأَمَّا الْيُزَيْرَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة 125] [تحرير المطالب لابن الحاجب، ص 296 بتصرف].

3. ذهب المحدثون والفقهاء وجمهور الأشاعرة إلى أن الإيمان يزيد وينقص، واستدلوا

على ذلك بعدة أدلة من العقل والنقل وصريح اللغة:

فمن العقل أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان لكان إيمان آحاد الأمة مساويا لإيمان الأنبياء

واللازم - مساواة إيمان الأنبياء لآحاد الأمة - باطل فبطل الملزوم - عدم تفاوت حقيقة الإيمان -،

وذلك قول العلامة التفتازاني: «تمسك القائلون بالتفاوت بأن إيمان آحاد الأمة لا يساوي إيمان الأنبياء قطعاً».

ومن النقل النصوص الصريحة في زيادة الإيمان من القرآن الكريم والحديث الشريف، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ آيَاتِنَا، فَلَمَّا تَوَفَّوهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال 2] وقوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ الْإِيمَانَ﴾ [المدثر 31] والآيات في هذا المعنى كثيرة، ومن الحديث ما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر قال: «قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار» [الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي 3/ 211].

كما استدل جمهور الأشاعرة على أن الإيمان هو التصديق بصريح وأصل العربية وهو أمر لا ينكر فيحتاج إلى إثباته، وفي التنزيل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف 17] معناه: وما أنت بمصدق لنا. وقال بعض الأشاعرة - ومنهم العلامة التفتازاني - إن الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه لفظي مبني على الخلاف في حقيقة الإيمان، فمن فسره بالتصديق قال: لا يتفاوت، ومن فسره بالطاعة قال: يتفاوت.

ووجه جمهور الأشاعرة زيادة الإيمان ونقصانه من عدة أوجه ذكرها العلامة ابن خمير السبتي، منها:

- أن الزيادة في التصديق بعدد التصديقات، فمعنى الزيادة زيادة أعداد العلوم والتصديقات...
- توالي أعداد التصديقات على المحل بالخبر الواحد مع توالي أعداد العلوم به، وهذا التوالي هو علم اليقين.

- زيادة أدلة المدلول الواحد، فإذا غفل الناظر عن دليل رجع إلى آخر. [مقدمات المرشد، ص 373 بتصرف] والذي قرره المتأخرون من الأشاعرة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

التقويم

1. أبين حقيقة الإيمان .
2. أوضح المذاهب الكلامية في زيادة الإيمان ونقصانه .
3. بماذا وجه الأشاعرة معنى زيادة الإيمان ، وماذا قرره المتأخرون منهم؟

الاستثمار

جاء في كتاب الإنصاف للباقلاني: «النقصان والزيادة يرجع في الإيمان إلى أحد أمرين: إما أن يكون ذلك راجعا إلى القول والعمل دون التصديق؛ لأن ذلك يتصور فيهما مع بقاء أصل الإيمان.... والأمر الثاني: في جواز إطلاق الزيادة والنقصان على الإيمان يتصور أيضا أن يكون من حيث الحكم لا من حيث الصورة ، فيكون ذلك أيضا في الجميع من التصديق والإقرار والعمل....». [الإنصاف، ص 50].

أراجع تمام المسألة في كتاب الإنصاف للباقلاني وأقوم بالآتي:

- تحديد مفهوم الإيمان والعناصر المكونة لماهيتيه .
- تحرير القول في توجيه زيادة الإيمان ونقصانه؛

الإعداد القبلي

أراجع كتاب: الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ، وأبحث عن الآتي:

1. مذهب الأشاعرة في مسألة تكفير أحد من أهل القبلة .
2. موقف الأشاعرة من مرتكب الكبيرة ، وردودهم على مخالفهم .